التِّجَارَةُ الرَّابِحَةُ

﴿الخُطْبَةُ الْأُوْلَى﴾

١٤٤٤/٠٧/١٢هـ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِاغْتِنَامِ الْأَعْمَارِ وَتَحْصِيلِ الْأُجُورِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا مَا تَعَاقَبَتِ الْأَيَّامُ وَالشُّهُورُ. **أَمَّا بَعْدُ:** فَاتَّقُوا اللهَ كَمَا أَمَرَكُمْ إِذْ قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران:١٠٢]

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: سَنَتَحَدَّثُ الْيَوْمَ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَنْ تَدَبَّرَهَا، وَتَعَلَّمَهَا، وَعَمِلَ بِمَا فِيهَا،

فَازَ وَرَبِحَ، إِذْ يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾.[فاطر:٢٩] وَمَعْنَى يَتْلُونُ: أَيْ يَتَعَلَّمُونَ تِلَاوَتَهُ. وَرَوَى عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» رواه البخاري، قَالَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ: إِنَّ هَذِهِ الْخَيْرِيَّةَ هِيَ صِفَةُ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ حَقَّ تَعَلُّمِهِ وَعَلَّمَهُ حَقَّ تَعْلِيمِهِ. وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ» متفق عليه. وَقَدْ رَأَيْنَا مَنْ يَحْفَظُ كِتَابَ اللهِ وَيُتْقِنُهُ وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ، وَوَجَدْنَا

مَنْ يَحْفَظُ كِتَابَ اللهِ وَهُوَ أَعْجَمِيٌّ لَا يَنْطِقُ إِلَّا كَلِمَاتٍ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَشَاهَدْنَا مَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ وَهُوَ يُعَانِي مِنْ إِعَاقَةٍ جَسَدِيَّةٍ، أَوْ فَقْدِ الْبَصَرِ، بَلِ الأَعْجَبُ مِنْ هَذَا مَنْ يَحْفَظُ كِتَابَ اللهِ وَيُرَتِّلُهُ وَقَدْ ذَهَبَ عَقْلُهُ، أَيْ أَنَّهُ غَيْرُ مُكَلَّفٍ، وَمَرْفُوعٌ عَنْهُ الْقَلَمُ، لَا تَجِبُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ، فَمَا عُذْرُ مَنْ بَلَغَ الْعِشْرِينَ وَالثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ مِنَ الْعُمُرَ وَلَا يَكَادُ يُحْسِنُ الْفَاتِحَةَ، وَنَسْمَعُ مَنْ يَؤُمُّ النَّاسَ وَهُوَ لَا يُقِيمُ الْفَاتِحَةَ، وَهَذِهِ طَامَّةٌ كُبْرَى أَنَّ بَعْضَ المسْلِمِينَ يَحْفَظُ أَشْعَارَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَلَا يَلْحَنُ فِيهَا، بَيْنَمَا يَلْحَنُ وَيُخْطِئُ فِي فَاتِحَةِ

الْكِتَابِ وَهُوَ يَتْلُوهَا فِي الْيَوْمِ عَلَى الأَقَلِّ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ مَنْ يَتْرُكْ تَرْتِيبَ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ، أَوْ يُبْدِلْ حَرْفًا بِحَرْفٍ مَعَ صِحَّةِ لِسَانِهِ، أَوْ يَلْحَنُ لَحْنًا يُخِلُّ المعْنَى؛ لَا تَصِحُّ قِرَاءَتُهُ وَلَا صَلَاتُهُ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ، وَهُوَ اخْتِيارُ الشَّيْخَيْنِ ابْنِ بَازٍ، وَابْنِ عُثَيْمِينَ رَحِمَ اللهُ الْجَمِيعَ.

أَيُّهَا المسْلِمُونَ:

اللهَ اللهَ فِي إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَفِي تَعَلُّمِ كِتَابِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر:١٧] أَيْ: يَسَّرَ اللهُ لَنَا كِتَابَهُ لِنَقْرَأَهُ وَنَتَعَلَّمَهُ

وَنَحْفَظَهُ، لَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَبْذُلَ جُزْءًا مِنْ أَوْقَاتِنَا لِتَعَلُّمِ هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ.

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ: ﴿الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ..﴾ وَهُنَا؛ يَمْتَدِحُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ يَتْلُونَ كِتَابَهُ، عَلَى اخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ، فَهُمْ يَتْلُونَ الْقُرْآنَ فِي المسْجِدِ، وَفِي المنْزِلِ، وَفِي السَّيَّارَةِ، وَأَثْنَاءِ الِانْتِظَارِ، وَيَقْرَؤُونَ مِنْ حِفْظِهِمْ وَمِنَ المصْحَفِ وَمِنَ الْجَوَّالِ، وَلَا يَكَادُ يَمُرُّ عَلَيْهِمْ فَرْضٌ إِلَّا وَقَدْ قَرَؤُوا فِي المصْحَفِ وَلَوْ وَجْهًا وَاحِدًا، فَهُمْ يَقْرَؤُونَ وَيَتَعَلَّمُونَ وَيَتَدَبَّرُونَ كِتَابَ اللهِ.

ثُمَّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ..﴾ وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ: هِيَ أَدَاؤُهَا بِشُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا

وَسُنَنِهَا. فَعَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ» متفق عليه.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[البقرة: ٤٣] أَيْ: وَكُونُوا مَعَ المؤْمِنِينَ فِي أَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ، وَمِنْ أَخَصِّ ذَلِكَ وَأَكْمَلِهِ الصَّلَاةُ، وَقَدِ اسْتَدَلَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى وُجُوبِ الْجَمَاعَةِ .

يَقُولُ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: "الْفَرَائِضُ دَائِمًا أَوْ غَالِبًا تَكُونُ عَلَنًا أَمَامَ النَّاسِ". فَتُصَلَّي الْفَرِيضَةُ مَعَ المسْلِمِينَ فِي المسْجِدِ، لَا فِي بَيْتِكَ، وَتُصَلِّي

النَّافِلَةَ فِي بَيْتِكَ؛ حَتَّى لَا تَكُونَ الْبُيُوتُ قُبُورًا، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ المرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ المكْتُوبَةَ» أخرجه البخاري.

ثُمَّ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي تَتِمَّةِ الْآيَةِ: ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا﴾ أَيْ: لَا يَرَاهُمْ أَحَدٌ، جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»...وَذَكَرَ مِنْهُمْ: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لِا تَعْلَمُ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ». متفق عليه. قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه: "تَصَدَّقُوا وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ إِنِّي مُقِلٌّ، فَإِنَّ صَدَقَةَ الْمُقِلِّ أَفْضَلُ مِنْ صَدَقَةِ الْغَنِيِّ".

إِنَّ أَعْظَمَ أَنْوَاعِ الصَّدَقَةِ وَأَدْوَمَهَا فَضْلًا وَأَجْرًا وَبَرَكَةً الإِنْفَاقُ المسْتَمِرُّ وَلَوْ كَانَ قَلِيلًا، بَلْ إِنَّ صَدَقَةَ الْمُقِلِّينَ فِيْهَا بَرَكَةٌ عَلَى الأُمَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ السَّوَادُ الأَعْظَمُ.

وَبَعْدَ الثَّنَاءِ عَلَى صَدَقَةِ السِّرِّ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ فَلِمَاذَا حَثَّنَا اللهُ تَعَالَى عَلَى الإِنْفَاقِ عَلَانِيَةً؟ وَالْجَوَابُ: لِيَقْتَدِيَ النَّاسُ بِهَؤُلَاءِ الْمُنْفِقِينَ إِذَا رَأَوْهُمْ يُنْفِقُونَ عَلَانِيَةً.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الكَرِيْمُ.

﴿ الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ ﴾

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبارَكَ عَلَيْه وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، عِبَادَ اللَّهِ: ثُمَّ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي خِتَامِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُور﴾ فَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ تِلْكَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ إِنَّمَا يَرْجُونَ مَا عِنْدَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَتَطَلَّعُونَ إِلَى ثَنَاءِ النَّاسِ أَوْ رِضَاهُمْ، بَلْ يَرْجُونَ التِّجَارَةَ الرَّابِحَةَ مَعَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ فَنَوَايَاهُمْ خَالِصَةٌ للهِ سُبْحَانَهُ، وَلَيْسَ فِيهَا رِيَاءٌ

لِغَيْرِ اللهِ. فَهَذَا هُوَ الإِخْلَاصُ وَهَذِهِ هِيَ التِّجَارَةُ الَّتِي لَنْ تَبُورَ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا قُلُوبًا خَاشِعَةً، وَوَفِّقْنَا لِأَحْسَنِ النَّوَايَا وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَرْجُونَ هَذِهِ التِّجَارَةِ الَّتِي لَا تَبُورُ، يَا كَرِيمُ يَا غَفُورُ.

عِبَادَ اللَّهِ: صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَدْ أَمَرَنَا بِذَلِكَ رَبُّنَا، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب:٥٦]. **اللَّهُمَّ** صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ. **اللَّهُمَّ** آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وأَصْلِحْ أَحْوَالَنَا وَأَحْوَالَ

الـمُسْلِمِيْنَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، **اللَّهُمَّ** أَيِّدْ بِالحَقِّ أَئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، **اللَّهُمَّ** وَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ، لِهُدَاكَ، وَاجْعَلْ عَمَلَهُ فِي رِضَاكَ، **اللَّهُمَّ** أَعِنْهُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ، وَأَدِمْ عَلَى بِلَادِنَا نِعْمَةَ الْأَمْنِ وَالْإِيْمَانِ وَسَائِرِ بِلَادِ الـمُسْلِمِيْنَ، وَارْحَمْنَا جَمِيْعًا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ. **اللَّهُمَّ** اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْـمُسْلِمِيْنَ وَالْـمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ. **رَبَّنَا** آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ.